مسيرة الأمازيغية في الجزائر -بين البناء الثقافي والمشروع السياسي والفعل التربوي –

د. نجلاء نجاحي
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة- (الجزائر)

الملخص:

تعد القضية الأمازيغية من بين أهم القضايا المطروحة على الساحة الثقافية والسياسية والتربوية في الجزائر، وذلك لما لها من أهمية بالغة في ترسيخ وتشكيل للهوية الوطنية، إلى جانب التأثير في الوحدة الوطنية أو ما يسمى بالأمن الهوياتي، فضلا عن ذلك فالأمازيغية تمثل اللغة الأصلية التي يتداولها حاليا قرابة 15مليون متكلم، في شكل تواصل شفهي متجذر على أساس لهجي، مما جعلها مهدّدة بالزوال والانقراض والاضمحلال وحتى الذوبان في العامية العربية بسبب الاقتراض والاستعارة وتوليد الألفاظ وأمزغتها، كما أن للمدّ اللغوي العربي والفرنسي دورا خطيرا في ذلك، دون أن ننسى الإشارة إلى الظروف الحياتية للناطقين بالأمازيغية المحصورين في المناطق الجبلية والريفية، معزولين عن مناطق صنع القرار والتأثير، ومع تغير هذه الظروف أصبح متكلمو الأمازيغية يعيشون صحوة ثقافية ولغوية في سبيل الرقي بالأمازيغية إلى لغة وطنية ولغة تعليم وثقافة، ومع هذه المستجدات متكاتفة مع الظروف السياسية وتأسيس المحافظة السامية للأمازيغية HCA طفت إلى السطح قضية ترسيم الأمازيغية. هذا وقد قطعت اليوم قضية الأمازيغية شوطا لا يستهان به في مجال التربية والتعليم، وهذا يقودنا إلى طرح عدة إشكاليات أهمها:

- ما علاقة القضية الأمازيغية بالأمن الهوياتي في الجزائر؟
- وما موقع الأمازيغية بين الفعل التربوي والبعث السياسي؟
- وما مدى تفعيل تدريس اللغة الأمازيغية في مدارسنا والجهود المبذولة لترسيمها؟
- وماهي الأسباب التي يعزى إليها ضعف التحصيل المعرفي في اللغة الأمازيغية وعدم التحكم في آلياتها ؟

Resume :

La question amazighe est l'une des questions les plus importantes sur la scène culturelle, politique et éducative en Algérie en raison de sa grande importance dans l'établissement et le façonnement de l'identité nationale, en plus de son influence dans l'unité nationale ou la sécurité identitaire. En outre, l'amazighe, parlée par environ 15 millions de locuteurs, reste une langue de communication verbale seulement, ce qui lui menace d'extinction et d'effondrement dans le dialecte arabe en raison de l'emprunt et de néologisme. En plus, l'expansion de l'arabe et du français a un rôle dangereux à jour. Il ne faut pas oublier aussi de signaler que la majorité des locuteurs amazighs vivent dans des zones montagneuses et rurales isolées des zones dz prises de décisions et d'influence. Et au fur et à mesure que ces conditions changent, les amazighs vivent culturel et linguistique dans le but de faire promouvoir leur langue en langue nationale. Par une décision politique, le Haut Commissariat d'Amazigh (HCA) a vu le jour, et l'amazigh est devenue langue officielle.

De ce fait, notre problématique est comme suit :

- Quelle est la relation entre la question amazighe et la sécurité identitaire en Algérie ?
- Quelle est la position de l'amazigh entre l'acte éducatif et politique ?
- Quelle est l'efficacité de l'enseignement de la langue amazighe dans nos écoles ?
- Quelles sont les raisons attribuées à la faible réalisation cognitive dans la langue amazighe et au manque de mécanismes de contrôle?

الأمازيغية إرث حضاري:

تحتفي منطقة شمال إفريقيا و الجزائر منها على حد سواء بإرثها التاريخي و الحضاري الذي يثبت تجذر الهوية الأمازيغية بمقوماتها البشرية و المادية على مرّ عصور سحيقة، حيث يعتبر العنصر الأمازيغي في الجزائر صورة لا تتجزأ عن الهوية الوطنية لما تقدمه الأمازيغية من لغة و ثقافة وحضارة ضاربة في العمق، لا تقل قيمة عن الثوابت الوطنية الأخرى، بل إنه لحريّ بنا القول **"إن تاريخ الأمة الجزائرية من تاريخ الأمة الأمازيغية الضاربة في أعماق تاريخ منطقة شمال إفريقيا".**

إن البحث في صميم العامل الأمازيغي في الجزائر يدعونا إلى تتبع تاريخية هذا الموروث الحضاري، حيث لا تكتفي حفريات التاريخ اليوناني والإغريقي بالتأصيل لذلك الارتباط بين شعوب "الليبو" –السكان الأصليين لشمال إفريقيا- والأرمن و لا الجيتول بالفرس الرحالة، لجعلها سببا في تكوّن الخليط البشري الذي أطلق عليه فيما بعد "البربر" في محاولة لوصف هذه المجموعات البشرية من خلال المعطيات الأثنوغرافية و الألسنية التي قيدتها كتب التاريخ، فالحل التاريخي المبثوث في صميم البحث الأركيولوجي يعتبر الخليط السكاني من الأرمن و الليبيين المعروف قديما بالمورو و كذا الفرس والجيتول أساسا لتجذر الفرد النوميدي، و ما تسميةُ " المازيس" في واقع الأمر إلا وصفٌ لهذا الوجود البربري في شمال إفريقيا و الذي لا يختلف البربريون ذاتهم حول دلالته قطعا، إذ تدل كلمة "مازيس" من الأصل **"(م ز غ MZG) أو(م ز ك M Z K) الموجود في مازيس و مازاس ومازازاس خلال الفترة الرومانية، و كذا في اسم الماكسي .. و إموشاغ (IMUSAGH) غربي الفزان وإماجيغن (IMAGUGHEN) في الآيير (النيجر)، و إيمازيغن في الأوراس، و الريف الأطلسي الأعلى بهذا الاسم و تماسغت** (TAMASEGHT) **هي لغة الطوارق، الذين يسمون بدورهم باسم إيمونشاغ"**[1]، تدل تسميتهم في التاريخ القديم على الرجل النبيل الشهم أو الحرّ، كما يعتبر اسم "المور" علما على كل سكان الجزائر الحالية، و ما فتئ يمتد عبر إفريقيا الشمالية إلى نهاية التاريخ القديم، لينتهي إلى الدلالة على البربر من مسلمي المغرب.

أما صفة "البربر" فقد جرى الاختلاف حول ترسيمها بين الباحثين، حيث يرى بعضهم بأن التسمية أطلقت من طرف الرومان و من بعدهم اليونان على الشعوب التي غزوها في شمالي إفريقيا و الشرق الأدنى منها، و أطلقوا التسمية لاعتبار وحيد مفاده أن كل من لا ينتمي لحضارتهم يستحق هذا الوصف، و لاقتراب التسمية من دلالة المتوحش أو الوحش يحبذ عديد المفكرين عدم استخدامها واستبدالها بمازيغ أو أمازيغ أو "أبناء مازيغ" كما يحب الشيخ " عبد الحميد بن باديس" أن يلقبهم. ويذهب " روم لاندو" في بحثه عن دلالة التسمية إلى القول بأن: **"البربر لا يسمون أنفسهم كذلك، و لا يطلقون على أنفسهم اسما**

شاملا يضم جماعاتهم المختلفة، فبربر البادية يسمون أنفسهم الأمازغ، بينما يسمي بربر الأطلس أنفسهم شلوح و آخرون برابر"[2]، و حول أصولهم يؤكد "ابن خلدون" : **"هؤلاء البربر جيل ذو شعوب و قبائل تحصى... و لم تزل بلاد المغرب إلى طرابلس بل إلى الإسكندرية عامرة منذ أزمنة لا يعرف أولها من و لا ما قبلها... وهذا جيل جيل من الآدميين (يعني البربر) هم سكان المغرب على القدم ملأوا البسائط و الجبال من تلوله إلى أريافه و ضواحيه و أمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة و الطين و من الخوص و الشجر و من الشعر و الوبر"**[3].

و في بحث حثيث عن حدود الرقعة البربرية و نشاطها البشري و طبيعتها الزراعية و المناخية إلى الفترة ما بعد الماسينية –حكم ماسينيا- يتعين الإقرار بأن الدراسات التاريخية لم تنف ما ألحقه كل من الفينقيين إلى الرومان ثم الوندال فالبزنطيين بالأمة الأمازيغية التي استوعبت كل هذه الحضارات، وبذلك حق للمؤرخين القول بأن شمال إفريقيا ملتقى الحضارات، و الثقافات دون أن يؤثر ذلك على هويته الثقافية والاجتماعية، بل شكل ذلك رافدا و تنوعا لم يتسن لغيرها من الأمم معرفته. كما أن هذه الدراسات لم تتملص من الحديث عن وجود بنية اجتماعية متطورة أساسها بلاد متوسطية أكثر منها إفريقية، تجمعها وحدة عرقية أثبتتها اللهجات البربرية، و هي لهجات مجزأة و منفصلة عن بعضها البعض حاليا و مقلصة في رقعات جغرافية محدودة لا تنحدر من لغة قديمة، فما هي في الأصل غير اللغة الليبية التي نطق بها السكان الأصليون على امتداد القرون قبل الميلاد. و لعل هذا الارتباط العرقي لم يمكّن رغم التوافق الحصري للتركيبة البشرية من تأسيس دويلات متحدة كانت ستقف حتما ضد السيول الإفرنجية التي أحكمت سيطرتها على الدول المتوسطية فتمكنت لا محالة من البرابرة وضيقت استخدامهم للغتهم الأم، بل وحصرتها في الأرياف، لتتحول إلى لغة المعاملات اليومية والمهن و الحرف أكثر منها لغة العامة.

غير أن الحال تغير بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، حيث بدأت عملية التعريب كما هو معروف في القرن التاسع الميلادي، فأصبحت اللغة العربية لغة الثقافة ولغة الممالك و المواثيق السياسية. و لم تعزز الهجرة الهلالية التي صاحبت حركة التعريب إلا النكبة الشنيعة التي يسرت إخضاع المنطقة للثقافة العربية، ولكن في نفس الوقت شكلت كبوة للبلاد لم تنهض منها، و رغم أن المنطقة تجاوزت الصراعات العسكرية بين البربر و القبائل الهلالية إلا أن باب الصراع الثقافي بين الثقافتين الأمازيغية و العربية فُتح على مصراعيه، ولو أن الطابع الديني الذي طبع صراع الثقافتين سمح للثقافة العربية بأن ترسي هيكلة علمية أكثر تنظيما في المؤسسات والمعاهد و المرافق العليا، بينما ظلت الثقافة الأمازيغية يغلب عليها الجمود و التقليد وعدم التجديد في شكلها الرسمي، مما جعل عملية التعريب ممكنة بل واجبة في المنظور العام، عكس ما حدث في بلاد فارس و غيرها من بلاد

التركمان التي اقبلت نحو الإسلام دون أن تفتح المجال للتعريب، فحافظت دونما خوف على هويتها و ثقافتها و حضارتها في مواجهة غير مستسلمة للهوية العربية.

إن الاختلاط بين الأمازيغ والعرب و بوتيرة متسارعة، لدليل فيما يقرّ ابن خلدون (في القرن الخامس عشر الميلادي) "**عن بطون عربية اختلطت بقبائل هوارة الأمازيغية، و عن قبائل أمازيغية وجدت نفسها في عداد قبائل بنو سليم العربية**"[4] وهي تمثل نماذج عن التعايش البطيء الذي تم بعد الغزوة الهلالية، كما أن قيام الدول و الأنظمة السياسية في بلاد المغرب في مرحلة الدولة الإسلامية كان على عاتق القبائل الأمازيغية بداية (بالرستميين والأغاليين والزيريين والحماديين وكذا المرابطين والموحدين ختاما بالزيانيين فالحفصيين).

الأمازيغية و الهوية في الجزائر:

إن الإقرار بوجود الأمازيغية يؤكد اتصالها التاريخي بحضارة راسخة تمتد إلى أربعة ألاف سنة كان فيها الصراع حول الهوية مسألة نالت من الكرّ و الفرّ ما لا يمكن للفرد العادي أو المتخصص نكرانه، فتاريخية الوجود الأمازيغي عززت صلابة موقف الرسوخ و التشبث بمقومات المواطنة و الارتباط بالأرض و التاريخ قبل التعامل مع المتغيرات السياسية و الفكرية الناجمة بالأساس عن صراعات لحظية، لا تلبث أن تتغير بين العقود أو الأجيال، " **إن إشكالية الهوية في الجزائر بدأت فعليا في القرن السادس عشر الميلادي، بتحول السلطة السياسية من يد القبائل البربرية إلى الأتراك، فرغم أن هؤلاء كانوا إثنيا على هامش المجتمع بسبب طبيعتهم الاستعلائية، فإن زواجهم الإندوجامي لم يمنع تسربهم الإثني الذي أثمر ما اصطلح على تسميتهم الكراغلة، ومن ثم أصبح مجتمعنا أمام استعارة كلاسيكية توحي بصورة الفسيفساء للتعبير عن حركة إثنوثقافية، على الرغم من أن ذلك لم يكن ليلاحظ لأسباب اجتماعية واقتصادية وعسكرية، حيث استمرت تلك الفسيفسائية تتكون من عناصر في منتهى الدقة، وتنتمي برغم كثرة عددها إلى سلم واحد يتشكل من الأسماء الكبرى التي تتخلل تاريخ المنطقة**"[5]، و بعد ذهاب الأتراك بلا رجعة تعمق الصراع المفتوح مع الهوية الفرنسية التي التهمت اللغة العربية و الأمازيغية على حد سواء، ذات استقلال تخطفته أنياب المتعصبين للفرنسية من جهة، و المنادين بالعروبة وإسلام الدولة حقا ثابتا للهوية الجزائرية من جهة ثانية.

لقد تحقق للدولة الجزائرية بعد الاستقلال رغم ما أعيا كاهلها من تبعات أعتى استعمار في شمال إفريقيا، تحققت بعده الحماية الرسمية و القانونية لترسيم اللغة العربية لغة للدولة، إلا أن الحديث عن اللغة الأمازيغة ظل مغيّبا رغم حفاظها على أهميتها و مكانتها كلغة خطاب يومي تشكل جزءا من الكيان الجزائري الحر، حيث ظلت تعبّر دائما و أبدا على

تاريخيتها و أهميتها و امتدادها الجغرافي الذي يشمل كلا من منطقة شرق الجزائر و القبائل الكبرى و الصغرى و الصحراء، بالإضافة إلى وجودها أو تقاطعها مع عديد اللهجات الجزائرية، و لم تظهر اللغة الأمازيغية وسيلة للمقاومة الثقافية إلا بعد ظهور رعيل من الشباب أسس لحركة الحريات الديمقراطية، كان من أبرز أعضائها "إيدير آيت عمران" (أول رئيس للمحافظة السامية للأمازيغية) بالإضافة إلى أعضاء آخرين أبرزهم حسين آيت أحمد.. و كان الإيذان الفعلي لظهور الأمازيغية لغة ثانية للدولة بعد ما أطلق عليه "الربيع الأمازيغي"، و هو ربيع برهن عن اكتمال وعي هذه الفئات القوية فكرا و ثقافة ووعيا برسوخ قدمها في موطنها الأم، وهي الفئات الباحثة عن أبسط حقوقها المقتصرة على التجسيد اللغوي بدايةً، و الذي عدّ فيما بعد جزءا من الهوية و رافدا من روافد التكوين البشري في الجزائر، ثم ما يمكن تعزيزه من عوامل تثبيت الهوية، و ترجم المطلب على أرض الواقع بعد أن تقدمت به كل من حركة التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بزعامة "سعيد سعدي" و الحركة الثقافية البربرية، سعيا لجعل الأمازيغية لغة تدرس في المنظومة التربوية، وهو مطلب استجابت له رئاسة الجمهورية بقيادة الرئيس " اليمين زروال" وسرعان ما ظهر صدى هذه الاستجابة في تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية في 05 ماي 1995 كهيئة تابعة لرئاسة الجمهورية، و بعدها الإعلان الرسمي عن اعتبار المكون الأمازيغي جزءا من الهوية الوطنية في نص دستور 1996. و كان أن حققت المحافظة السامية للأمازيغية بعد تأسيسها جملة من المكاسب اعتبرت آنذاك نقلة نوعية سمحت بالتصالح الصوري بين الحركات الشبابية الغاضبة و الحانقة ضد ممارسات التضييق و السلطة التي حاولت سحب المناداة بدمج الأمازيغية إلى الرئاسة و عدم تركها قضية للتداول بين البرلمان و الأحزاب، حيث تم في تلك الفترة تحديدا:

- دمج الأمازيغية في 16 مؤسسة تعليمية.
- إنشاء ليسانس اللغة الأمازيغية.
- الاندماج في وسائل الإعلام.

إلا أنها و إلى الآن لم تتمكن من بلوغ سقف المطالب الأمازيغية بسبب الانقسام بين مفكريها ورجالاتها حيث اختلفوا حول قضية إدماجها إلى النقيضين:

الطرف الأول:

يرى أصحابه أن المسألة الأمازيغية ملك للشعب الجزائري، و يتقاطع أصحاب هذا التصور مع الخطاب الرسمي الذي يعتبرها شأنا يخص كافة الشعب، و هو طرف مؤيد لترسيم الأمازيغية بنفس مقام العربية.

الطرف الثاني:

أما الطرف الثاني فيرفض أصحابه ترسيمها، ويرون أن المسألة الأمازيغية قبائلية أساسا و عليه فمستقبل هذه اللغة بين ناطقيها و حسب، و أبرز المنادين بهذه الرؤية "فرحات مهني" حيث يخشى في ما يخشاه ضياع الهوية في حال ترسيم اللغة الأمازيغية لأن مجموع الناطقين بها أقلية و بالتالي ينبغي تحصينها في رقعتها الجغرافية.

و لعل الملاحظ أن عملية حسم مسألة ترسيم الأمازيغية في الدستور لم تجنّب التعارضات و الخلافات التي أذكتها نيران تغليب الخطاب الشعبوي، و تم تجاوزها من غير أي نقاش فكري عميق حول المسألة حيث **"استخدمت الخصوصيات و منها المطلب الأمازيغي الحي جدا و المترسخ في العمق، و كذلك تسييس الإسلام و التعريب لتغذية خصوصيات الأشخاص، و النزاعات السياسية و في لحظات من التأزم في الجزائر، كما في سواها، تقوم مشاعر الانطواء على الهوية و التضامنات المحلية، بجعلها تنطوي على مظاهر المعطيات الموضوعية و البنيوية"**[6].

إن اللغة الأمازيغية أقدم لغة في منطقة المغرب العربي فعلا بما فيها الجزائر، ويمثل مجموع الناطقين بالأمازيغية في الجزائر حوالي 28 ٪ من مجموع السكان، أي الثلث تقريبا، ويتوزع اللسان الأمازيغي على شكل مناطق جيولهجية وهي: **القبائلية** وتتمركز في منطقة القبائل الصغرى و الكبرى وتشمل الولايات التالية: تيزي وزو، بجاية، بومرداس، البويرة، وجيجل وسكيكدة وجزءاً من ولاية سطيف العاصمة و**الشاوية** وتتمركز في منطقة الأوراس و النمامشة و تشمل كل من ولاية باتنة، أم البواقي خنشلة، وسوق أهراس، والجزء الجنوبي من ولاية سطيف وبسكرة وقالمة، و **الميزابية** وتتمركز بمنطقة وادي ميزاب ولاية غرداية، والمدن ذات المذهب الإباضي و**الطوارقية أو التورقية** وتتمركز في الجنوب الكبير الجزائري ويشمل كل من ولاية تنمراست، وإليزي وتتعدى حدود الجزائر إلى ليبيا والنيجر، **والشلحية والريقية (الريغية)** نسبة إلى وادي ريغ وتشمل كل من مناطق ورقلة، تقرت **وتشمل الشنوية** وتتمركز في منطقة شنوة وتشمل ولاية تيبازة وتمتد إلى وهران غرب الجزائر و المغرب الأقصى[7].

مكانة الأمازيغية بين اللغات وقيمتها:

"الأمازيغية لغة الشعر و الأدب و الفكر و التاريخ و الثقافة"، هكذا عبّرت عن نفسها منذ صدحت حناجر أدبائها و شعرائها و مفكريها تنحت بأصواتها و أفكارها أسماء ظلت تمثل فكر و ثقافة و أدب و هوية الجزائر و لا زالت، حيث استوقفت روايات مولود فرعون (1962-1913) المعبرة عن كيان الفرد القبائلي في منطقة الجزائر الكبرى، و الذائدة عن حمى الوطن، والمدافعة على التحام أطرافه استوقفت لا محالة مفكرين و أدباء فرنسيين بينوا مقدرة

الأديب السهلة الممتنعة على تقويض مسلمّة الجزائر فرنسية باللغة الفرنسية ذاتها، حين برهن بأدبه و فكره على تجذر الهوية الجزائرية، قال عنه ميشيل كيلي يوما:" و بهذا يكون فرعون شاهدا لوقته و ذويه مركزا على تغيّر حسّه و موقفه الذي طرأ على الجيلين، جيل قبل حرب1940 الذي ما زال يقبل الخضوع..وجيل ما بعد الحرب و بداية الخمسينيات أين يعلو النقص و الهوان، أين يدق الغضب و الانتفاضة، أين يطفو العطش إلى الاعتراف و التحرير.."[8].

و لم يكن مولود معمري(1917-1989) لينتقص عن سالفه شيئا حيث جسد اهتمامه باللغة و هويتها وثقافتها حين اختار البحث في الألسنية الأمازيغية، فجمع بوعي المفكر بين الأنثروبولوجيا و الأدب.

و كذا صنع مالك حداد و رشيد بوجدرة... و القائمة الأدبية أطول من أن تحدها مساحات الأسطر أو حدود الجغرافيا، وبالنفس عينه تمكن مفكرو الأمازيغية و ساستها من إلقاء مشاكلها إلى الساحة الوطنية.

لم تكن اللغة الأمازيغية تحظى بمكانة مرموقة في الاستعمال الرسمي قبل أن تولي لها الدولة الجزائرية هذا الاهتمام، وظلت تعيش وضعية عصيبة، حتى تم التكفل بهذه المادة باقتراح من المحافظة السامية للأمازيغية (HCA)، وقد حرصت الدولة الجزائرية على تعميم تدريس الأمازيغية، وتقاسمت وزارة التربية الوطنية العبء مع المحافظة السامية للأمازيغية من أجل بعث اللغة الأمازيغية وإحيائها وتعميمها في المدارس الجزائرية، وللإشارة فإن الإقبال على تعلم الأمازيغية ليس مقصورا على الناطقين بها باعتبارها لغتهم الأم، ولكن هناك من المتعلمين ذوي الأصول العربية _ والذين يتواصلون باللهجة العامية العربية سجلوا رغبتهم في تعلم الأمازيغية نطقا وكتابة، ويمكن الاستفادة من أبحاث التعدد والازدواج اللغوي اللغوي في الجزائر بتصنيفه إلى أزواج وثنائيات لغوية تكشف ما يسمى بالتعددية اللغوية على الشكل التالي :

أ. **اللغة العربية الفصحى، اللغة الأمازيغية**

ب. **اللغة العربية الفصحى، اللغة الفرنسية**

ج. **اللغة الأمازيغية، العربية الدارجة**

د. **اللغة الأمازيغية، اللغة الفرنسية**

ه. **اللغة الفرنسية، العربية الدارجة**

رتبت هذه الأزواج حسب نسبة الشيوع و الاستعمال و الهيمنة على مستوى الاستعمال في المحيط المدرسي و التواصل اليومي، وحري بنا أن نشير إلى أن اللغة العربية الفصحى بلهجتها و اللغة الأمازيغية قد تعايشتا منذ أمد في كنف المجتمع الجزائري " فلم تكن

العربية مقصورة على السكان ذوي الأصول العربية، ولكن السكان ذوي الأصول الأمازيغية كانوا يشكلون أغلب سكان المدن، ولا نتوفر إلى حد الساعة على إحصائيات دقيقة تسمح بالجزم بأن أغلب المؤلفين الذين كانوا يكتبون بالعربية كان أصلهم أمازيغيا "[9].

وتجدر الإشارة بأن تحمّل الدولة الجزائرية مسؤولية النهوض بالأمازيغية كمسؤولية وطنية قد ساهم في إخراجها من بوتقة اللغات المستضعفة، و أبعد عنها صفة اللغة القروية الشعبية الناقلة للفلكلور، كما أن تخويلها كلغة رسمية إلى جانب العربية أخرجها لا محالة من دائرة اللغات المهددة بالانقراض وخطر الزوال.

العوامل و الظروف التي مكنت الأمازيغية من بلوغ رتبة اللغة الوطنية :

أ. جهود الدولة الجزائرية في سبيل إرساء قانون تدريس الأمازيغية وتعميمها: فمنذ إقرار ترسيم الأمازيغية كلغة وطنية ثانية في الدستور، و السماح بتدريسها في المؤسسات التعليمية، أخذت الدولة الجزائرية على عاتقها مسؤولية النهوض باللغة والثقافة الأمازيغية، وشكل ذلك اعترافا بأن الأمازيغية مكون أساسي للهوية والشخصية و الثقافية الوطنية فالعامل السياسي يلعب دورا أساسيا لا غنى عنه في منح اللغات وزنها في المجتمع، فالسياسة اللغوية للدولة الجزائرية جزء لا يتجزء من سياستها العامة، و قد اكتسبت الأمازيغية قوتها و شرعيتها من خلال قرار الجمهورية الجزائرية.

ب. كما يعتبر العامل الديموغرافي اللغوي عاملا هاما في تحديد وزن الأمازيغية وقيمتها، ومعروف أن الناطقة بالأمازيغية يشكلون نسبة كبيرة من سكان الجزائر، فالصفات السوسيولغوية للأمازيغية بكونها لهجة تتسم بالحيوية والديناميكية تدعمها كتلة واسعة من الناطقين بها في جميع المجالات التواصلية و الإبداعية و" وهي تنضوي في إطار سيرورة معيّـــرة تستجيب لضروريات الارتقاء بها و تثمينها عبر تعليمها و إدماجها في وسائل الإعلام، واستخدامها في الأدب المكتوب المنبثق، واستعمالها المحتشم في البحث العلمي ومن شأن ترسيمها أن يوفر لهذه اللغة فرصا جديدة لإشعاعها و ارتقائها"[10].

ج. انتقال الأمازيغية من طور المشافهة إلى الكتابة بفضل تبني أبجدية التيفيناغ قد ساعد كثيرا في تقوية الأمازيغية وصحوتها، لكن يظل النشر بهذه اللغة ضعيفا ومحتشما لحد الآن .

د. الترجمة عامل مهم في جميع الميادين خاصة ترجمة بعض الأعمال الأدبية الفرنسية والعالمية إلى اللغة الأمازيغية، حيث يعد من البوادر المبشرة، ثم الشروع في تدوين ونقل بعض المقتطفات من الأدب الشفوي الأمازيغي إلى لغات عالمية كالفرنسية و الإسبانية و العربية، وهو عامل مهم أكسب اللغة الأمازيغية انتعاشا .

ه. **حيز الاستعمال والهيمنة التواصلية:** إن استعمال اللغة الأمازيغية إذا ما قورن بالمساحة الإجمالية للجزائر وعدد سكانها، توسع في نطاق التراب الوطني، وخاصة في المناطق القروية والجبلية والشبه الصحراوية وحتى المدن بفعل عامل الهجرة الداخلية وأصبح في تزايد داخل التجمعات الحضرية، وفيما يخص الأوساط التي تستعمل فيها اللغة الأمازيغية كلغة تواصل نجدها في الأوساط العائلية و الشارع و أماكن العمل و المدرسة وقد غزت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية و المكتوبة، وقد تنامى وعي الأمازيغ بأهمية النهوض بلغتهم فشهدت الثقافة الأمازيغية صحوة في مجال الاستعمال، فقبل هذا الوقت كانت الأمازيغية لغة مستضعفة و كان الناطقون بها يشعرون بالحرج في تصريحهم بأصولهم الأمازيغية .

و. تشكل الأمازيغية معطى تاريخيا ضارب الجذور في التاريخ، وتمثل عنصرا أساسيا من الإرث المشترك بين مكونات وعناصر الوحدة و الهوية الوطنية .

ز. النهوض بالأمازيغية أمر أساسي وحتمي في مشروع المجتمع الديمقراطي الحداثي الذي تنشده الدول المغاربية، لذلك فالنهوض بها بات مسؤولية وطنية .

ح. توفر الحوامل البيداغوجية لتعليم اللغة ونشرها .

ط. جهود الباحثين و الدارسين الجزائريين من أجل تطوير اللغة الأمازيغية و النهوض بها مثل مولود معمري، و الدكتور رابح بلعيد .. و غيرهم كثير .

أهداف تدريس الأمازيغية في مختلف المستويات التعليمية في المدرسة الجزائرية:

إنّ إعداد برنامج للّغة الأمازيغية يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات اللغوية الخمسة المتمثلة في القبائلية، الشاوية، الميزابية، الشنوية، والتارڤية، ولكن ما هو مجسد في واقع تدريس اللغة الأمازيغية في الجزائر غير ذلك، حيث أنّ الصعوبة التي تميّز معالجة هذه المتغيرات أملت على واضعي البرامج اتباع المسعى الآتي :

-فيما يخص تقديم البرنامج ومن أجل سهولة تطبيقه جهويا يتمّ تحرير المضامين المعرفية باللغة الأمازيغية مع ضرورة مقارنة الأبجديات الثلاث، مع العلم بأنّ الأبجدية اللاتينية هي المعمول بها حاليا في الميدان أما بقية البرنامج الذي يحتوي على التمهيد، وأغراض تعليم اللّغة الأمازيغية، والكفاءات وأهداف التعلم، والأنشطة والوضعيات التعلمية، والمشاريع البيداغوجية، والتوجيهات المنهجية يحرّر باللّغتين العربية والفرنسية،

-أما المهارات و الكفاءات التي يتخذها مشروع ترسيم اللغة الأمازيغية تتمثل في مجموعة من المعارف الفعلية والمعارف السلوكية التي يكتسبها المتعلمون ويكونون من خلال ذلك قادرين على تجنيدها في وضعيات ذات الطابع المدرسي وغير المدرسي، و تتجزأ الكفاءة إلى

قدر من أهداف التعلّم المطلوب لتنميتها، و تساعد قائمة الكفاءات على حصر أهداف التعلم المطلوبة في مستوى معيّن وعلى بناء التكوين،

-أما المتعلم في المراحل الأولى لتعلم اللغة الأمازيغية يكون قد زاول دراسته بصفة عادية وقد اكتسب تجربة مدرسية مدتها ثلاث سنوات، ويجب أخذ التجربة التي قد تتمثل في اكتساب بعض القدرات مثل: القدرة على الفهم والقدرة على التحليل والتحكم في قراءة وكتابة بعض الأصوات والمقاطع الصوتية وكلّ ما يصحب القدرة على الكتابة والقراءة بالعربية، والفرنسية بعين الاعتبار حيث تسبق مرحلة تعلم مبادئ القراءة والكتابة بالعربية كل المراحل التعليمية ثم مبادئ قراءة و كتابة اللغة الفرنسية في السنة الثالثة، بالإضافة إلى ذلك فإن التلاميذ الناطقين بالأمازيغية يتقدمون لدراستها صوتا و كتابة و هم يمتلكون ملكة ممارسة اللغة الأم –الأمازيغية- شفويا، فيبقى على المدرّس العمل على نقل ذلك إلى المجال الكتابي، فالتلميذ في هذا المستوى متهيئ لتعلم قراءة وكتابة الأمازيغية بالحروف التي يتبناها المدرّس لمتعلميه، وهو بذلك سيصل إلى الكفاءات التالية في المجال الشفوي:

-التعرّف والنطق السليم لمختلف المقاطع الصوتية في تناول الكلمة .

-القدرة على تمييز الكلمات الواردة في الجملة.

-التعرّف والتمييز بين الجمل الواردة في المنصوصات الشفوية .

-إنتاج جمل من مختلف الأنماط عند الاستماع.

إضافة إلى تمكنه من القراءة الجهرية للكلمات والجمل الواردة في نصوص قصيرة والتحكم فيها فينقل الكلمات والجمل والفقرات والإجابة كتابيا عن الأسئلة الشفوية والكتابية بشكل سليم.

ويرمي تدريس اللغة الأمازيغية إلى غايات شريفة ونبيلة لعل أهمها :

- ✓ تعزيز الإيمان بالتراث العظيم الذي تستوعبه اللغة الأمازيغية وصلته العميقة التي لا تنفصم بالإسلام والعروبة باعتبار هذه المكونات الثلاثة عناصر أساسية ومتكاملة للهوية الوطنية .
- ✓ ترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية من خلال النصوص الأدبية .
- ✓ تعزيز روابط الألفة والمحبة بين أبناء الوطن وتمتينها .
- ✓ استيعاب المعارف اللغوية و الأدبية التي تم التوصل إليها في ميدان اللغة الأمازيغية .
- ✓ القدرة على التفاعل الواعي و الصادق مع قضايا الأمة ومستجداتها و ما يطرأ عليها من تطورات وتغيرات ومشكلات .

- ✓ تعزيز القيم الأخلاقية والإنسانية .
- ✓ تكوين رصيد أساسي من المفاهيم و المعلومات التي تبني التراث المشترك بين أبناء الوطن .

المكاسب التي حققتها الأمازيغية في الجزائر :

أ. لقد كان هدف مؤسسي الحركات الأمازيغية و المدافعين عن الثقافة الأمازيغية ترقيتها إلى لغة وطنية إلى جانب اللغة العربية تستخدم وسيطا للتواصل، وكذلك جعلها لغة إبداع و ثقافة، وتعميم استخدامها في المؤسسات التربوية و الإعلامية وحتى في الإدارة، وفعلا قد استفادت من دعم هام من الدولة و أصبح لها حظوة سياسية واعتبار اجتماعي .

ب. تنامي عدد الناطقين بالأمازيغية داخل التجمعات الحضرية، وكل الفضاءات الاجتماعية، وغزا استعمالها المؤسسات الإعلامية ووسائله المسموعة منها و المرئية والمكتوبة، وكذا الملتقيات و المنتديات الثقافية، وذلك ما مكنها من الحضور المتزايد حيث انطلقت القناة الأمازيغية في بث برامجها على التلفزة الوطنية، كما أصبح لها حضور قوي في الجانب السينمائي.

ج. أتاح الاستعمال الكتابي للأمازيغية تقدما ملحوظا خاصة في مجال النشر و الصحافة فبرزت مؤلفات عديدة ؛منها معاجم أمازيغية- عربية، وأخرى عربية أمازيغية؛ كالمعجم العربي الأمازيغي لمحمد شفيق، ومعجم آخر للباحثة خديجة ساعد تحت عنوان معجم الحيوانات(أمازيغي- فرنسي- عربي)، ومعجم المصطلحات الطبية بالأمازيغية للهادي مزياني، بالإضافة إلى روايات بالأمازيغية، وأخرى مترجمة إلى العربية...

د. ومن المكاسب الهامة إدراجها في قطاع التعليم العالي منذ الثمانينات .

هذا **ولا تزال اللغة الأمازيغية تشق طريقا محفوفا بالصعاب و المعيقات ولعل أبرزها** :

أ. اللغة الأمازيغية لغة تختلف لهجاتها وتتباين وتتعدد إلى حد كبير مما أدى ببعض الباحثين إلى حد التشكيك في وجود لغة أمازيغية قائمة بقواعدها و ضوابطها

ب. هذا التباين اللهجي يشكل عائقا يحول دون التفاهم بين الأمازيغ فيما بينهم وخاصة بين أمازيغي المناطق المتباعدة مثلا الشاوية والتارقية، و القبائلية والتارقية، ولكن عمليات التهيئة والتخطيط اللغوي الذي ينضوي تحت لوائه كل من المحافظة السامية للأمازيغية و بعض الحركات الجمعوية و بعض الدارسين والباحثين في اللغة و الثقافة الأمازيغية أخذت تضع قواعد ومعايير وضوابط من أجل توحيد اللغة الأمازيغية .

ج. إن اعتماد أبجدية دخيلة في تعليم اللغة الأمازيغية كالحرف اللاتيني يعد مسخا للهوية الوطنية وتشويها لها، فلا يجدي نفعا أن تحافظ أمة على قيمها و حضارتها وهويتها بتعليم لغة وطنية بالحرف اللاتيني، فذلك من شأنه أن يغرس في أجيالنا الشعور بضعف

الأنا، و أن يجعلهم متعلقين بهوية لغوية غريبة، فينشأون متعصبين لها معتقدين أن الحرف اللاتيني جزء من تاريخهم وأصالتهم، فيتمخض عنها تمزق روابط الأصالة والهوية الوطنية و التاريخية و الحضارية .

رغم ما يحيط بالسياسة الأمازيغية من تراكمات في الحقل الثقافي فإن الحركة تعاني من صراع داخلي بين فعاليتها و قادتها حيث لا تزال الحركة تتشبث بمرجعيات عقلانية منقسمة لا تلتقي في طروحها مع قوى المجتمع الديمقراطية و النقدية، و ما غلى ذلك من المواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي تحرص على تكريس التعايش و المساواة بين اللغات و الثقافات و الأجناس والأعراق، و يبقى مستقبل الأمازيغية دائما مرتبطا بالوعي الوطني المتجذر في الروح المغاربية، **ولتحقيق ذلك لا بد من:**

-استجابة جميع الأطراف مع المطالب الأمازيغية بروح المسؤولية الوطنية.

-تطوير الأفق السياسي و الفكري للأحزاب لاستيعاب الأبعاد الاستراتيجية للقضية الأمازيغية.

-ضمان إقرار قوانين تكفل الحماية القانونية و الرسمية للأمازيغية و تدمجها في المرافق الإدارية والمؤسسات التكوينية المتخصصة.

أما البحث في حلول تتعلق بتجاوز الاختلالات التي انتابت البيت الأمازيغي فلا يمكن البتّ فيها إلا إذا استعادت الأمازيغية مكانتها باعتبارها واقعا لا يمكن تجاوزه، و أسست لرؤية تعليمية و فكرية باسترتيجيات واضحة و دقيقة تكفلها الدولة بمؤسساتها، تنقل مستويات التعامل معها من لغة ثقافة وفلكلور و أدب ..، إلى منظومة لغوية و ظاهرة حضارية حية، لها تاريخها و إرثها الذي يتطور ويتفاعل مع المتغيرات الإقليمية و العالمية، ثم إن عملية التفكير في إنشاء مؤسسات أكاديمية تعي قيمة و مسؤولية تفعيل الدراسات العلمية للبحث في حلول جذرية لمشكلات الأمازيغية ينقل التعامل مع قضيتها من طابعه السياسي المحتقن إلى طابع علمي ثقافي اجتماعي تربوي، يتأسس من خلاله التقنين الرسمي للغة في مؤسسات الدولة المتعددة.

الهوامش و الإحالات:

[1] - قبريال كامبس، **أصول بلاد البربر- ماسينيسا أو بدايات التاريخ-**، تعريب: العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، د.ت. ص: 27.

[2] - عبد السلام بغدادي، **الوحدة الوطنية و مشكلة الأقليات في إفريقيا**، مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان، 2000، ص:125.

[3] - عبد الرحمن ابن خلدون، **العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت، 1971، ص:26.

[4] - نفسه، ص: 288-289.

[5] - جاك بارك، **في مدلول القبيلة في شمال إفريقيا**، بحث نشر في كتاب: الأنثربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي و آخر، دار توبقال، المغرب 1988، ص:116.

[6] - غازي حيدوسي، **الجزائر التحرير الناقص**، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة، بيروت، د.ت، ص :07.

[7] - سالم شاكر، **الأمازيغ و قضيتهم في بلاد المغرب المعاصر**، ترجمة: حبيب منصوري، دار القصبة، الجزائر، 2003، ص:11 -19.

[8] - Michelle kelle : **Les écrivains maghrébins de la langue française de la première génération (1945-1960)**, acte de colloque « Passions Franco- Algérienne », association « Les amis de Max Marchand, de Mouloud Feraoun et de leur compagnons », Paris,12 decembre2003,p15.

[9] - عبد السلام الشدادي، **من أجل بلورة سياسية ناجحة في ميدان اللغة**، مجلة مقدمات، المملكة المغربية، ع:07، 1999.

[10] - أحمد بوكوس، **مسار اللغة الأمازيغية – الرهانات و الاستراتيجيات**-، مطبعة بريس، الرباط، المملكة المغربية، ص:151.